

كتاب مفتوح إلى الرئيس بري

الشبيعة لم يكونوا يوماً مع الاضطهاد فلماذا يقفون متفرجين على موت الديمقراطية؟

بقلم غسان جواد (النهار ٢٠٠١/٨/١٧)

-دولة الرئيس، اعتقد انها المرة الاخيرة التي اخاطبك فيها، مع انها المرة الاولى. وذلك ليس لشيء في نفسي انما لشعوري الحقيقي بلا جدوى الكلام والتكرار بعدما وصلت الحال في بلدنا الى ما وصلت اليه. بداية سأخاطبك بوصفك رئيساً للهيئة التشريعية على مدى ثلاث دورات من عمر مجالس ما بعد الطائف. والارجح انني اصارحك الآن اكثر من اي مستشار او متزلف او مستفيد، فمن موقعي كمواطن لبناني اولا واصارحك وابث اليك هواجسي بعدما آلمتني الحال في لبناننا واستفقت من مرآة الاعتقاد بأننا نعيش في نظام برلماني ديمقراطي. وفي حين اكتب او اتلفظ بكلمة "برلماني" اول ما يتبادر الى ذهني هو انت يا دولة الرئيس عندما قلت واطلقت شعار "المجلس سيد نفسه" وكان ذلك في ايام الحديث عن التمديد للرئيس الياس الهراوي. اتذكر؟ عندها خاب املنا واخذتنا السياسة الى اقصى تبريراتها وقلنا: لا بأس انها اول جمهورية ما بعد الحرب. الا انني الآن اذكر ان التصويت على التمديد كان برفع الايدي، وهذا ما لا يتوافق مع ابسط الانظمة الديمقراطية البرلمانية في العالم. لست في صدد العودة الى الماضي لكن الشيء بالشئ يذكرك، وبما ان الاستحقاقات تأخذ منا اهتماما مضاعفا اسألك ايها المحامي الحقوقي كيف حافظتم على شعار سيادة المجلس على نفسه؟

وهل انت راض؟ عن قانون اصول المحاكمات الجزائية الذي اقره المجلس النيابي معكوسا خلال اسبوعين؟ واضيف بحرقه المواطن الذي بدأ يبحث عن "فيزا" ليغادر او يهاجر: هل انت راض؟ عن هذا القانون من موقعك الحقوقي يا ابن حركة المحرومين الذين اعتقل قاندهم دون محاكمة حتى الآن؟

اظنك غير مقتنع بالمشادة التي حصلت بينك وبين بهيج طيارة اثناء الجلسة، ولا اعتقد سوى "الارغام" يجعلك تتخلى عن حنكك المعهودة في ادارة جلسات المجلس حتى في اكثر الظروف استحقاقا واحراجا.

وعلى ذكر المحاكمات والمحاكم، ما رأيك في حملة الاعتقالات التعسفية التي طاولت فئة من اللبنانيين طلابا وشبابا؟ وكيف تنتظر الى التاريخ الذي كانت فيه "حركتك" هدفاً لاضطهاد الاجهزة؟ هل هذا هو لبنان الذي تحلم به يا دولة الرئيس؟ وهل "الميليشيات" التي رفست الشباب وضربتهم امام قصر العدل محمية في نظام برلماني تترأس انت سلطته التشريعية؟ ولماذا تصمت عن هذا الجور؟ وهل الجور يشبه التعيينات الادارية؟ واذا ضرب أحد المقربين او الاتباع فماذا سيكون موقفك؟ اعتقد انك محرج ولن تستطيع المطالبة بأثنين اذا ضربوا واحدا، كما صرحت من قبل وقلت انك ستطالب بأثنين ان عينوا واحدا. هل تنتبه يا دولة الرئيس ان النظام الذي نعيش فيه اليوم هو نظام الغالب والمغلوب؟ انه النظام عينه ينكر في تاريخ لبنان الذي قال عنه الامام موسى الصدر انه لا يعيش الا بجنايه المسلم والمسيحي، فلماذا ترضى ان يتم كسر الجناح الآخر؟ في حين انني انا وانت نعرف ان لبنان لا تقوم له قائمة في الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان اذا لم تتساو فيه الطوائف والمناطق والاديان. نعم يا دولة الرئيس المسيحيون في لبنان محبطون وليس سوى الديمقراطية يجعل من الانسان في هذا البلد يتساوى مع الآخر مهما كانت انتماءاته او معتقداته وطوقسه.

أمر آخر اود ان تعرفه وأن يأخذ حيزا من اهتماماتك: انه الشعور بالاستقلال والسيادة. فاللبنانيون حتى الآن، ورغم انسحاب العدو الاسرائيلي من ارضهم، لا يشعرون بسيادة دولتهم ومؤسساتها في وطنهم. انهم يشعرون باننقاص كبير في

هذه السيادة وهم يطمحون ان يكون الجيش في الجنوب وان تتحقق لهم سيادتهم كاملة "غير منتقصة". وهذا ما انت مسؤول عنه بالشراكة مع رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة. وليس سرا ان القول ان في لبنان من يشعر بثقل الوصاية السورية علينا جميعا دون استثناء، وهذا حقنا ما دام واقع الحال يشير الى ذلك، وانت ادري بالتفاصيل.

اما الان فأود ان اصارحك من موقعي الطائفي المكتوب على السجلات الشخصية ويا للأسف، لأقول ان الشيعة لم يكونوا يوما مع الظلم والاضطهاد. وانهم وان كانوا مع مشروع الدولة في المطلق فهم ليسوا شهود زور على افول شمس جمهورية كانت الاجمل والاكثر ديموقراطية وحرية بين اشقائها من الدول العربية، نعم، ان الشعور في لبنان اليوم ان الطائفة الشيعية تقف مباركة "متفرجة" على موت الديموقراطية وحقوق الانسان في لبنان، يجعلني اسألك ما رأيك؟ وأضيف يا دولة الرئيس، وبحرقه ما بعدها حرقه، ان الايام لا تستوي، وأن النظام الديموقراطي وحده ضمان ان لا تتقلب الايام فيصبح الحاكم مضطهدا والمضطهد حاكما فنعيش في عهود الانتقامات والصراعات والاعتقالات التعسفية مجددا. وانت الاعوف والادري بما يؤسسه الاضطهاد من حقد وشعور بالغبن والاستبعاد. وقد قال الامام علي عليه السلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، فماذا فعلنا كي نحسن في دنيانا الحرية والديموقراطية وحقوق الانسان؟ وما هو ضمان الا يأتي دورك ودورنا في ظل ما آلت اليه الامور من قهر وتعسف واضطهاد وتلفيق؟

هذا غيظ من فيض مما اشعر به من ألم على هذه البلاد بعدما استشرى فيها الفساد والرشوة، والتعسف، والانهيال الاقتصادي، وعندما شارفت تقاليدنا الديموقراطية على الافول. واعتقد يا دولة الرئيس ان قدرا سيئا جعلنا وجعلك نشهد نهاية الجمهورية اللبنانية الديموقراطية البرلمانية لتتحول الى تسمية الجمهورية العربية اللبنانية بتميز. لذا ارجوك ان تقف مجددا وكما وقفت امام الصرح البطريركي لتعلن انك - اننا - مع لبنان الديموقراطي التقدمي البرلماني الحر قولا وفعلا وأن ما من مواطن لبناني يرضى بمهزلة ما حدث ويحدث، فهل تستطيع؟ وهل لا زلت تذكر انك اول من طالب وقائل من اجل حصر السلطة التنفيذية بمجلس الوزراء مجتمعا، وذلك خير للبنان وابقى؟ احسب انك توافقني وان ما بينك وبين القصيدة والشعر لن يقطعه وينهيه اغواء السلطة. الى اللقاء، دولة الرئيس. شكرا اذا قرأتني جيدا.